بلاد العرب فى كتاب "حملات الإسكندر" لإريانوس	دكتور / السيد محمد جاد أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة طنطا

تتمتع بلاد العرب أو شبه الجزيرة العربية[١] بموقع متميز سهل لها الاتصال بالحضارات المجاورة لها منذ مرحلة مبكرة فى التاريخ، كما أن ظروفها الجغرافية ومواردها الاقتصادية جعلت هذا التفاعل يتعدى فى بعض المراحل التاريخية مجرد الاحتكاك العادى إلى ظاهرة الهجرات التى كانت تضم فى بعض الأحيان أعداداً كبيرة نسبياً من السكان. وقد ساعدت هذه العوامل على جعل شبه الجزيرة على صلة دائمة بما يدور حولها من أحداث، وجعلتها تخرج فى بعض الأحيان من دور المستقبل للتأثيرات الحضارية الوافدة عليها لتلعب، كما هو معروف، دوراً بارزاً فى تحديد مجريات الأمور فى بلدان المنطقة المحيطة بها. ويعد أريانوس من أهم المؤرخين اليونانيين الذين أشاروا فى كتاباتهم إلى بلاد العرب وإلى الدور الذى قام به بعض سكانها فى المرحلة التاريخية المهمة التى يتحدث عنها، والتى وصفت بأنها تمثل "منعطفاً جديداً فى الحركة التاريخية،"[٢] ليس فقط على صعيد الصراع العسكرى بين القوتين الشرقية والغربية القائمتين آنذاك، بل أيضاً على صعيد التفاعل الحضارى والثقافى بين شبه الجزيرة العربية ذاتها وبين الحضارات المجاورة لها. كذلك فإن كتابه "حملات الإسكندر"[٣] يعد من الكتب التاريخية اليونانية المهمة التى تتضمن معلومات تفصيلية مبكرة عن شبه الجزيرة العربية، مثلما أن هذه المعلومات تتميز بكونها لم تأت عن طريق وسيط أو طرف ثالث بين اليونانيين والعرب كما كان الحال فى المراحل السابقة. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف بدقة على هذه المعلومات، وإلى توضيح دور حملات الإسكندر الأكبر فى تشكيل المسار الحضارى لبلاد العرب قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

إن الدراسات التى تركز على ما ورد بكتابات المؤرخين الكلاسيكيين (اليونانيين والرومان) عن شبه الجزيرة العربية، والتى قام بها باحثون متخصصون فى حقل الدراسات اليونانية والرومانية، ما تزال تتسم بالقلة التى تحول دون الاستفادة بما سجله هؤلاء المؤرخون على الوجه الأكمل.[٤] هناك بطبيعة الحال الدراسة الرائدة التى قام بها لطفى عبد الوهاب يحى[٥] والتى لفتت الأنظار إلى أهمية هذه المصادر، وبينت بإجمال كيفية تطور معلومات اليونانيين والرومان عن المنطقة. لقد أعقب هذه الدراسة عدد من الأبحاث التى يلقى بعضها الضوء على بلاد العرب وعلى علاقاتها بالقوى المجاورة لها فى أواخر العصر الكلاسيكى،[٦] ويلقى بعضها الآخر الضوء على واحد أو غيره من المؤرخين والجغرافيين اليونانيين، وعلى ما تتضمنه كتاباته من إشارات إلى بلاد العرب وعادات أهلها وتقاليدهم. وهكذا وجدت إشارات ثيوفراستوس،[٧] واسترابون،[٨] وديودوروس الصقلى،[٩] من يهتم بها ويعنى بدراستها. وكان من الطبيعى وسط هذا الاهتمام الواضح بهذه الكتابات الكلاسيكية عن شبه الجزيرة، فى الربع الأخير من القرن الميلادى الماضى، أن يجد عميد المؤرخين اليونانيين من يهتم به وبما يقوله عنها، وأن تكون مقالة مصطفى كمال عبد العليم عن حديث هيرودوتوس عن بلاد العرب[١٠] من أولى المقالات ظهوراً بعد دراسة لطفى عبد الوهاب المشار إليها.

ومع ذلك فإن ما يذكره أريانوس عن بلاد العرب ما يزال بحاجة إلى دراسة على الرغم من أهمية المرحلة التاريخية التى يتحدث عنها، بالإضافة إلى أن المقارنة بين ما يورده عن بلاد العرب وما ذكره عنها هيرودوتوس من قبل يمكن أن تلقى الكثير من الضوء على تطور علاقات شبه الجزيرة العربية بما جاورها من بلدان فى العصر الكلاسيكى والعصر الذى يليه. ويتبين ذلك من الأحداث التى أعقبت الحملة الفارسية على بلاد اليونان التى يتحدث عنها هيرودوتوس والتى يشير إلى مشاركة العرب فيها إلى جوار

الفرس.[١١] فلمّا يمر قرن ونصف على هذه الحملة إلا وقام الإسكندر الأكبر بحملاته المعروفة على الشرق، والتى كان من بين نتائجها المهمة، كما سنرى، أنها أخضعت المناطق الواقعة إلى شمال شبه الجزيرة العربية لنفوذ اليونانيين بدلاً من الفرس، وأنها صاحبتها محاولات جادة من جانبهم للدوران حولها، وأعقبتها فيما بعد محاولات للتعرف على أجزائها الداخلية ومواردها الاقتصادية لا تقل جدية عن سابقتها.

ويحمل كتاب أريانوس اسم (*Anabasis Alexandri*)؛ ويذكرنا بهذه التسمية بكتاب كسينوفون (*Anabasis*) الذى يتحدث فيه عن أعماله فى بلاد الرافدين وآسيا الصغرى فى أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد. أما أريانوس فيتحدث عن تلك الحملات التى قضى فيها الإسكندر الأكبر، المقدونى الأصل، على الإمبراطورية الفارسية وأخضع فى أثنائها غالبية البلدان الواقعة تحت سيطرتها. ويبين أريانوس ذاته أهمية كتابه هذا بين بقية أعماله الأخرى والعناية التى بذلها فى كتابته له؛ وبشكل يبرر اشتهاره فى العصور التالية بوصفه مؤرخ الإسكندر، قائلاً:[١٢]

لست بحاجة إلى أن أذكر اسمى، على الرغم من أنه ليس بالنكرة فى عالمنا هذا، مثلما أنه لا حاجة بى إلى ذكر بلدى أو أسرتى أو أىّ منصب رسمى شغلته؛ وبدلاً من ذلك دعنى أقول ما يلى: إن هذا الكتاب كان دائماً، وما يزال، بالنسبة لى منذ أيام شبابى أغلى من البلد ومن العشيرة ومن المناصب العامة؛ لأنه يمثل فى حقيقة الأمر بالنسبة لى كافة هذه الأشياء مجتمعة.

ويتضح من هذه الكلمات أن أريانوس، الذى كان قائداً عسكرياً هو ذاته،[١٣] كان يكن للإسكندر إعجاباً خاصاً، وهو الأمر الذى يتأكد عبر صفحات الكتاب. مثلما يتضح أيضاً أن إشارته إلى بلاد العرب لم تكن

مقصودة لذاتها، تماماً كما هو الحال مع كتاب هيرودتوس. ومع هذا فإن هناك فارقاً جوهرياً بين كتابى هذين المؤرخين يتمثل فى اتجاهات الحملات التى يتحدث عنها كل منهما: فالحملات الفارسية كانت على بلاد اليونان، بينما خرجت حملات الإسكندر منها. وبطبيعة الحال فإن لهذا الفارق دلالته المهمة بالنسبة للمعلومات التى يذكرها أريانوس، وبالنسبة لكيفية الحصول عليها، خاصة وأن بلاد العرب شكلت أحد المشروعات المهمة بالنسبة للإسكندر. حقيقة إنه لم يكن معاصراً للأحداث، ولكن المصادر التى اعتمد عليها كانت معاصرة، بل وقام بكتابتها أناس صحبوا الحملات على الشرق. ويحدد أريانوس أهم هذه المصادر فى بداية كتابه، قائلاً:[١٤]

لقد اتبعت الوصف الذى يذكره كل من بطلميوس وأريستوبولوس فى كتابه عن الإسكندر بن فيليب فى حال اتفاقهما، مفترضاً فيه الدقة؛ أما الحقائق التى اختلفا بشأنها فقد سجلت منها ما شعرت بأنه أكثر احتمالاً وأهمية. هناك العديد من الكتب التاريخية عن حياة الإسكندر. . . ولكنه يبدو لى مع ذلك أن بطلميوس وأريستوبولس هما أجدر الكتاب بالثقة فيما يتعلق بهذا الموضوع؛ لأن الأخير صحب حملات الإسكندر، ولأن الأول، بالإضافة إلى هذه الميزة، كان أيضاً ملكاً، الأمر الذي يجعل الكذب بالنسبة له مشيناً أكثر من أى إنسان آخر. أيضاً فإن الإسكندر كان قد توفى عندما كتب هذان الرجلان كتابيهما، ولذلك فلم تكن عليهما أية ضغوط، ولم يكن يفيدهما أن يغيرا من الحقيقة شيئاً.

وبينما يمكن – بطبيعة الحال – الإحساس بطرافة الإشارة إلى كون بطلميوس ملكاً، وإلى أنه أولى بالصدق والتصديق لهذا السبب، بل والتغاضى كلية عنه، فمن الأهمية بمكان ملاحظة اهتمام أريانوس بالاعتماد على مصادر معاصرة للأحداث التى تشير ويشير هو ذاته إليها. كذلك فإن اهتمامه بالنقد وبإبداء رأيه فيما يعرض له من تفاوت فى الآراء وتزكيته

على النقاط التى تمت بصلة مباشرة بموضوعه، بالمقارنة على سبيل المثال بهيرودوتوس، كلها أمور تزيد من أهمية معلوماته، وتحدد فى الوقت ذاته طبيعتها.[١٥]

لقد لاحظ أريانوس، الذى عاش بعد حملات الإسكندر بحوالى أربعة قرون تقريباً، أن الإنجازات التى قام بها هذا القائد ما تزال بحاجة إلى من يكتب عنها، وأنها، وهو الأهم، بحاجة إلى دراسة دقيقة تفصل بين حقيقة تلك الإنجازات وما لحق بها من خلط وتشويه. فالكتابات التى سبقته لم ترق من وجهة نظره إلى أن تكون مراجعاً دقيقة للحملات، ولم تحتفظ بصورة تليق بهذا الفاتح الكبير. وهكذا فقد كان لكتابه موضوع محدد وهدف واضح؛ وكانت نتيجة ذلك، فيما يتعلق بموضوعنا، أن إشاراته إلى بلاد العرب تتصف بالقلة والإيجاز، وأنها تركز على أعمال الإسكندر فى المنطقة. وإذا أضفنا إلى ذلك أن منهجه لا يميل إلى الاستطراد، سيتبين أيضاً السبب فى أن تلك الإشارات تفتقر إلى التنوع فى المعلومات الذى نلاحظه عند هيرودوتوس.[١٦] وعلى الرغم من ذلك فإن حديث أريانوس عن شبه الجزيرة يتضمن ذكراً مفصلاً لموضوعين مهمين من حيث مداهما ونتائجهما. أول هذين الموضوعين هو الصدام العسكرى والحضارى المباشر بين اليونانيين والعرب والذى كان الأول من نوعه فى تاريخ العلاقات بين الأمتين، بينما يتمثل آخرهما فى المحاولات الجادة التى قام بها الإسكندر لاستكشاف سواحل شبه الجزيرة العربية والدوران حولها. وتدل أحداث القرون التى أعقبت حملات الإسكندر على عمق أثر هذين العاملين على وجه الخصوص فى تشكيل مسار المنطقة الحضارى، وفى تحديد طبيعة العلاقات بينها وبين الممالك الهلينستية التى قامت فيما بعد فى مناطق الشرق الأدنى المجاورة لها، وبخاصة المملكة السلوقية والمملكة البطلمية.

وترد أولى إشارات أريانوس إلى بلاد العرب في معرض حديثه عن محاولات الإسكندر السيطرة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وفي أثناء حصاره لمدينة صور. لقد قام الإسكندر وبصحبته بعض الفرسان "بحملة على جبل أنتيليبانوس في بلاد العرب، وتمكن في خلال عشرة أيام من فرض نفوذه، سواء بالقوة أم بعقد اتفاقيات،" على المنطقة الواقعة بالقرب منه.[١٧] وكان الهدف من ذلك هو تأمين هذه الجبهة الشرقية حتى يتفرغ لمواجهة المدينة الفينيقية؛ نظراً لأن بعض الجماعات المقيمة في هذه الجهة كانت قد هاجمت بعض المقدونيين واليونانيين في أثناء جمعهم لأخشاب الأشجار لإقامة بعض السفن، وقتلوا بعضهم وأسروا البعض الآخر.[١٨] وبينما يرى بعض الدارسين أن وصف أريانوس للجبل بأنه يقع في بلاد العرب يفتقر إلى الدقة،[١٩] فإنه على الرغم من ذلك يؤكد أن بعض القبائل العربية كانت تقيم في تلك الآونة في بادية الشام، وأن هذا الجبل كان يشكل على أقل تقدير الحدود الغربية للمنطقة التي يقيمون بها في تلك البادية.[٢٠] بعد ذلك اتجه الإسكندر إلى الجنوب متجهاً إلى مصر تسبقه انتصاراته إليها، ولم يلق مقاومة تذكر من أي من مدن فلسطين سوى مدينة غزة.[٢١]

لقد توقف أريانوس للحديث بالتفصيل عن مقاومة هذه المدينة للإسكندر ووصف كيفية استيلائه عليها. ويتبين من حديثه أن الإسكندر عندما سار بقواته متجهاً إلى الجنوب بعد سيطرته على صور كان يهدف بالدرجة الأولى إلى ضم مصر،[٢٢] وهو الأمر الذي يؤكده أيضاً بمسيره إليها بعد فتح المدينة، لكونها "الهدف الأصلي وراء اتجاهه جنوباً."[٢٣] ولهذا فإن فتح غزة لم يكن أمراً مقصوداً لذاته، وإن كان مع ذلك ضرورياً ليتيسر لهذا القائد الوصول إلى مصر. وكما كان الحال مع صور فإن عملية الاستيلاء على المدينة لم تكن سهلة؛ لقد استعد أهلها للدفاع عنها وشجعهم على ذلك موقعها الحصين، واستمر حصار الإسكندر لها بعض الوقت. يقول أريانوس في وصفه لهذه

الأحداث:[٢٤]

كان حاكم هذه المدينة رجلاً خصياً يدعى باتيس، ورفض تسليم المدينة للإسكندر. وكان باتيس قد أعد جيشاً من الجنود المرتزقة العرب، وجهز مخزوناً كافياً لحصار طويل الأمد، وبالإضافة إلى ذلك شجعته ثقته بأن المدينة أقوى من أن يتمكن أحد من الاستيلاء عليها على رفض السماح للإسكندر بدخولها. وتقع مدينة غزة على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات من البحر، ويمر الطريق المفضى إليها من جانب البحر عبر رمال عميقة، كما أن ساحل البحر بمحاذاتها يتصف بضحالته التى تعوق الملاحة. وكانت المدينة كبيرة ومقامة على تل مرتفع يقع على حافة الصحراء، وعلى الطريق المتجه جنوباً من فينيقيا إلى مصر.

وبينما يمكن أن نرى فى اسم باتيس تحريفاً يونانياً لاسم عربى هو باطش، وهو اسم يليق فى حقيقة الأمر بحاكم،[٢٥] فإن باستطاعتنا أيضاً أن نغض الطرف عما يذكره أريانوس عن كونه خصىّ. لقد سمع باطش بدون شك عن الانتصارات التى أحرزها الإسكندر على الملك الفارسى وعن حصاره لمدينة صور الذى استمر سبعة أشهر قبل أن يتمكن فى النهاية من دخولها، وعلى الرغم من ذلك لم تجعله هذه الانتصارات يبادر بإعلان الخضوع له. وتبدو مبررات أريانوس وراء اختيار باطش المقاومة مبررات مقبولة، ولكنها تخدم فى النهاية هدفه المتمثل فى إظهار قدرات القائد الذى يتحدث عنه. ولهذا فإنه يمكن هنا أن نضيف عاملاً آخر ربما كان أكثر أهمية، وهو إدراك حاكم غزة أن ما سيفقده بإعلانه الخضوع لن يقل عما سيفقده بالمقاومة: لقد كان باطش يدرك أن وقوع المدينة فى يد الإسكندر يعنى نهاية ما كانت تتمتع به من استقلال وازدهار تجارى.

وحينما علم الإسكندر برفض باطش فتح أبواب المدينة لاستقباله سار بجيوشه حتى وقف بها أمام جانب المدينة الذى تسهل مهاجمته أكثر من غيره،

وأمر بجمع أدوات الحصار. بعد ذلك عقد الإسكندر مجلساً لقادته الذين عبروا له عن شكهم فى إمكانية مهاجمة المدينة نظراً لارتفاع التل المقامة عليه، إلا أنه أصر على مهاجمتها لأنه "كلما زاد مقدار الصعوبة، أصبح من المحتم مواجهتها." ويوضح أريانوس صعوبة التحدى الذى واجهه الإسكندر عندئذ من إشارته فى الفقرة ذاتها إلى أنه كان لا يرى أهمية فتح المدينة فى إطار الهدف الذى خرج من أجله من بلاد اليونان فقط، بل كان ينظر إليه أيضاً فى ضوء مكانته الشخصية وإنجازاته السابقة: "لأن انتصاراً يفوق العقل والمنطق سوف يكون ضربة قاصمة لمعنويات الأعداء، بينما سيكون الفشل، بمجرد أن يعرف به داريوس واليونانيون، ضربة لا تقل خطورة بالنسبة لمكانته هو شخصياً."[٢٦]

وتمثلت خطة الإسكندر للاستيلاء على المدينة فى رفع مستوى الأرض بمحاذاة أسوارها حتى تصل إلى ارتفاع يتيح له أن يضع أدوات حصاره لمهاجمتها. وأمر بعمل ذلك خاصة فى الجزء الجنوبى، لما تراءى له من أن مهاجمة الأسوار فى ذلك الموضع ستكون أسهل من مهاجمتها من أى مكان آخر. وعندما ارتفعت الأرض إلى المستوى المطلوب ووضعت أدوات الحصار وأصبحت جاهزة للهجوم، قام الإسكندر بتقديم القرابين للآلهة استعداداً للقتال. وعندما بدأ القتال أخذ الإسكندر يراقب ما يجرى من مكان قريب لمدة من الوقت، حتى لاحظ أن المدافعين العرب يحاولون جاهدين إشعال النار فى أدوات الحصار، وأن هجومهم القوى بالقذائف التى يوجهونها من موقعهم المشرف على المحاصرين كاد ينجح فى جعل المقدونيين يتراجعون أسفل المكان المرتفع الذى أقاموه. عندئذ سارع الإسكندر بالذهاب لمساعدة جنوده فى المكان الذى يعانون فيه من الهجوم أكثر من غيره، وأتت مساعدته لهؤلاء ثمارها إذ أنهم تمكنوا من الحفاظ على مواقعهم. وفى أثناء ذلك جرح الإسكندر جرحاً شديداً استغرق شفاؤه بعض الوقت.[٢٧]

ويتبين من ذلك الوصف لأول محاولة للإسكندر لغزو المدينة أنها لم تحقق أهدافها، مثلما أنها اضطرته إلى تغيير خطته فى الهجوم عليها، وإلى انتظار أدوات الحصار التى سبق له استخدامها فى الاستيلاء على مدينة صور الفينيقية. ويوضح أريانوس بقدر كبير من التفصيل ضخامة الاستعدادات التى قام بها الإسكندر، والصعوبات التى واجهها هو وجنوده، حتى تيسر لهم فى النهاية الاستيلاء على المدينة، حيث يقول:[٢٨]

لقد أمر الإسكندر برفع مستوى الأرض بارتفاع قدره حوالى سبعة عشر متراً وبعرض قدره حوالى أربعمائة متراً حول المدينة بأكملها. بعد ذلك تم تركيب المعدات القاذفة وتم وضعها على ذلك الارتفاع وأصبحت جاهزة للعمل. وألحقت أضرار جسمية بالأسوار فى جوانبها الطويلة نظراً لحفر عدد من الخنادق العميقة، ولإزالة التراب من تحتها دون أن يلحظ الأعداء ذلك، وكانت النتيجة أن انهارت الأسوار وتهدمت فى عديد من الأماكن لأنه لا يوجد ما يدعمها. وبدأ المقدونيون فى إطلاق وابل من القذائف، وسرعان ما أصبحوا يسيطرون على قطاع كبير بعد أن تمكنوا من جعل المدافعين يتخلون عن مواقعهم بأبراج المدينة. وقد نجح رجال مدينة عزة فى صد ثلاث محاولات للهجوم بشجاعة، على الرغم مما لحق بهم من خسائر فادحة فى الرجال ما بين جرحى وقتلى. إلا أن الإسكندر، فى المحاولة الرابعة، جعل الجزء الأساسى من مشاته الثقيلة يشارك فى القتال حول كافة جوانب المدينة. من ناحية أخرى تهدمت الأسوار أو فتحت فيها فتحات واسعة فى المواضع التى حفرت تحتها الخنادق بسبب ما ألقى عليها من قذائف. وهكذا أصبح من السهل وضع سلالم على أماكن الدفاع المتهدمة، وبالتالى تيسرت محاولة دخول المدينة بالقوة. وبمجرد أن ثبتت السلالم فى مواضعها تنافس كل من يدعى قدراً من الشجاعة من الجنود المقدونيين مع زملائه حتى يكون أول الصاعدين.

. . . وبمجرد أن تمكنت الفرق الأولى من اختراق التحصينات، قامت بفتح

كافة البوابات التى صادفتها، ومهدت الطريق لدخول ما تبقى من الجيش إلى المدينة.

. . . وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من أن المدينة فتحت أبوابها، ظل المدافعون يقاتلون متكاتفين إلى جوار بعضهم البعض حتى آخر رجل، وحتى لقى كل واحد منهم حتفه فى موضعه الذي يدافع عنه. وأعقب ذلك بيع نسائهم وأطفالهم بوصفهم عبيداً. كذلك تم توطين بعض القبائل المجاورة فى المدينة التى جعلها الإسكندر مركز تحصينات للعمليات التالية فى المستقبل.

إن اهتمام أريانوس بتفاصيل الاستيلاء على غزة يجعل منه عملاً لا يقل أهمية عما قام به الإسكندر من قبل عندما فتح مدينة صور، التى يتحدث عنها وعن حصارها أيضاً بقدر كبير من التفصيل.[٢٩] ويتناسب هذا الاهتمام، فى حقيقة الأمر، مع أهمية المدينة التجارية التى جعلت منها واحدة من أكبر المدن فى شرق البحر المتوسط؛ نظراً لموقعها على الطرف الشمالى للطريق التجارى الساحلى الغربى لشبه الجزيرة العربية.[٣٠] ولا شك فى أن شهرتها كمدينة تجارية عربية كانت معروفة للإسكندر ولليونانيين الذين كان باستطاعتهم أيضاً الاطلاع على ما كتبه هيرودوتوس عن بلاد العرب قبل قرن ونصف تقريباً.[٣١] وقد أدى فتح الإسكندر للمدينة إلى حصوله على مقدار كبير من الطيوب والبخور التى كانت بمخازنها، مثلما أدى إلى تحكمه فى تلك التجارة التى كان يحتكرها العرب ويحتاجها اليونانيون، وجعله ذلك يشعر بمدى ثراء المدينة وبلاد العرب بشكل عام. وأرسل الإسكندر بعضاً من الغنائم التى حصل عليها إلى معلمه ليونيداس وإلى بعض أفراد أسرته فى بلاد اليونان.[٣٢] وتتبين أهمية المدينة الاستراتيجية بالنسبة لمسيرة الحملات من زاويتين أخريين توضحان كذلك إصراره على فتحها. لقد كانت المدينة آخر المدن البحرية على طريقه إلى مصر، مثلما أنها كانت توجد بها أيضاً حامية بارسية لتأمين الطريق إليها.[٣٣] وكما هو الحال مع مدينة صور التى

قاومت الإسكندر بشدة، فقد لقى أهل غزة الذين قاوموه بضراوة المصير ذاته. لقد دمرت المدينة وقضى عليها تماماً، ومثّل الإسكندر بحاكمها الذى تحداه، حتى أن استرابون الذى كتب عنها بعد ذلك التاريخ بحوالى ثلاثة قرون لاحظ أنها كانت تفتقد عندئذ ما كانت تتمتع به من أهمية وقتذاك.[٣٤]

وتتضح أهمية غزة بوصفها مدينة عربية بالنسبة لمشروعات الإسكندر من فقرتين أشار فيهما أريانوس بعد ذلك إلى بلاد العرب، وكان يعنى بهما هذه المدينة وما جاورها من مناطق. وفى الفقرة الأولى يوضح أريانوس أن الوالى الفارسى على مصر، مازاكيس، سلم البلاد للإسكندر بعد أن لاحظ الانتصارات التى حققها الأخير فى كافة المواقع التى خاضها، وكذلك نجاحه فى ضم ولايات كثيرة من بينها "فينيقيا وسوريا وغالبية بلاد العرب."[٣٥] أما الإشارة الأخرى فترد فى معرض حديث أريانوس عن تمرد جنود الإسكندر فى الهند ورفضهم مواصلة الحملات شرقاً، نظراً لبعدهم عن بلادهم وطول أمد القتال. لقد تحدث الإسكندر إلى هؤلاء الجنود مشجعاً إياهم على مواصلة الحملات، وأشار إلى المناطق والبلدان التى فتحوها بشجاعتهم، والتى من بينها "غالبية بلاد العرب."[٣٦] وبينما يمكن أن نرى فيما ورد على لسان أريانوس عند فتح مصر تكراراً لما ذكره الإسكندر بعد ذلك بعدة سنوات فى الهند، على الرغم من أن تعبير أريانوس يرد أولاً، فمن الضرورى ملاحظة المبالغة التى يتضمنها هذا القول، وهى مبالغة تبررها طبيعة الظروف التى ألقيت فيها الخطبة.[٣٧] وفى كلتا الحالتين فإن الإشارة توضح أهمية فتح مدينة غزة، مثلما توضح أنها كانت تمثل واجهة بلاد العرب بالنسبة لليونانيين وللإسكندر. كذلك فإنها تبين حدود معلوماتهم عن بلاد العرب التى كانت تعتمد فى غالبيتها حتى تلك الآونة على ما ذكره هيرودوتوس عن عرب شمال غرب شبه الجزيرة.[٣٨] وأنه كان على الإسكندر أن ينتظر نتائج محاولات الدوران حول سواحلها بعد حوالى عشرة أعوام من فتح غزة

ليدرك مدى اتساعها وأنها أكبر كثيراً مما كان يعتقدون من قبل.

وترد الإشارة التالية إلى العرب بين ثنايا حديث أريانوس عن عودة الإسكندر من الهند. فبينما كان قائد الأسطول، نيارخوس، ينتظر فى مدينة بتّالا الواقعة عند مصب نهر الهند تحسن الظروف الجوية للإبحار بأسطوله، سار هو مع جنوده متجهاً إلى "النهر العربى" وسار بمحاذاته متجهاً إلى الساحل، ثم اتجه بعد ذلك إلى الغرب. وفى أثناء سيره مر الإسكندر بقبيلة الأوريتيين وهى "قبيلة محلية هندية" لم تبادر بإظهار أى ترحيب به، وبعد ذلك مر على قبيلة "العرب" وهى "قبيلة أخرى مستقلة [تقيم] بالقرب من النهر العربىّ." وعلى الرغم من أن أهل هذه القبيلة لم يكونوا أنداداً للإسكندر، فإنهم لم يستسلموا عندما علموا باقترابه، بل رحلوا موغلين فى الصحراء. ويعلق أريانوس على ما فعلته القبيلة قائلاً إن رحيلهم أتاح له أن يعبر النهر الذى كان مجرد رافد ضحل.[٣٩] وتدل الأسماء التى يطلقها أريانوس على النهر وعلى القبيلة العربية المقيمة إلى جواره، والتى حرص على التمييز بينها وبين القبيلة المحلية الهندية، على أن بعض سكان الجزيرة العربية عرفوا طريقهم إلى هذه المنطقة من القارة الآسيوية حوالى منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد. ربما أنه لا يمكن تحديد الأماكن التى أتت منها هذه الجماعات ولا الطريق التى سلكوها على وجه الدقة، إلا أنه يمكن بكل تأكيد النظر إلى تلك المستوطنات العربية فى إطار النشاط التجارى الواسع النطاق للدولة السبئية القائمة آنذاك فى اليمن، ولسكان شبه الجزيرة بشكل عام. ومما يؤكد ذلك أن بعض الجماعات العربية عرفت أيضاً طريقها قرب ذلك التاريخ إلى الهضبة الإيرانية، وهناك ما يدل على وجود بعض المستوطنات العربية بالقرب من مدينة سوسا الفارسية وقت مجيء الإسكندر إلى المنطقة.[٤٠] ويتضح من ذلك دور العرب بوصفهم وسطاء تجاريين فى المنتجات الشرقية.

وتمثل مشروعات الإسكندر الخاصة ببلاد العرب ذاتها، بالمقارنة بمناطقها الحدودية، الموضوع الآخر المهم الذى يذكره أريانوس ببعض التفصيل. ويذكر مؤرخنا هنا أن الإسكندر فى أثناء عودته من الهند وبعد أن وصل إلى العاصمة الفارسية، شعر برغبة قوية فى أن يبحر جنوب نهرى الفرات ودجلة إلى الخليج الفارسى.[٤١] ولأنه كان قد رأى من قبل مصب نهر الهند والبحار الواقعة فيما وراءه، فقد أراد عندئذ أن يفعل الشئ نفسه بالنسبة لهذين النهرين. وفى طريقه إلى بابل قابلته وفود عديدة أتت من كافة أرجاء المعمورة لتهنئته بمناسبة عودته سالماً من حملته على الهند،[٤٢] ويستلفت الانتباه فى هذه الوفود أنها أتت من كافة أرجاء المعمورة وأنها أتت من مناطق لم يسمع بها اليونانيون، ولم يشاهدوا أهلها من قبل، وأن العرب الذين كان الإسكندر عندئذ على حدودهم وبالقرب من ديارهم لم يهتموا بإرسال سفرائهم لتكريمه كما فعل الآخرون. ولهذا فإن أريانوس يسجل ملاحظة الإسكندر لتخلف العرب عن إرسال السفراء، ويستطرد بعدها موضحاً مشروعاته تجاههم، قائلاً:[٤٣]

لقد كانت الاستعدادات البحرية موجهة ضد العرب، على ما يبدو، لأنهم كانوا الجماعات الوحيدة فى هذا الجزء من البلاد الذين لم يرسلوا أية وفود لاستقباله، ولم يظهروا أى احترام بأية وسيلة أخرى لائقة؛ وإن كان السبب الحقيقى وراء الاستعدادات هو فى رأيى تعطش الإسكندر الدائم إلى زيادة ممتلكاته. وقد روى أن الإسكندر سمع أن العرب يتعبدون لإلهين اثنين فقط هما يورانوس و ديونيسوس؛ الأول لأنه يُعتقَد أنه يحتوى فى داخله على النجوم وعلى الشمس أيضاً، أعظم وأوضح مصدر للخيرات للبشر فى كافة شؤونهم، أما الآخر، ديونيسوس، فبسبب شهرة رحلته إلى الهند. وقد شعر الإسكندر لذلك بأنه لن يكون فيما وراء قدراته أن ينظر إليه العرب على أنه إله ثالث، فى ضوء حقيقة أن إنجازاته فاقت إنجازات ديونيسوس، أو على

الأقل فإنه سوف يستحق هذا الشرف إذا ما احتل العرب وسمح لهم، كما فعل مع الهنود من قبل، أن يحتفظوا بنظمهم القديمة. وبالإضافة إلى ذلك فإن ثروات بلادهم كانت حافزاً إضافياً، فالكاسيا فى الواحات، والأشجار التى تنتج البخور والمر، والشجيرات التى تنتج القرفة، والحدائق التى ينمو فيها الطيب من تلقاء نفسه؛ عن كافة هذه الأشياء أخبرته الرواية. كذلك فإن بلاد العرب كانت بلاداً واسعة، فساحلها (كما قيل) لا يقل في طوله عن ساحل الهند، وهناك جزر كثيرة فى مواجهته، وهناك موانئ فى كل مكان ملائمة لرسو أسطوله؛ ولأن تكون مواقع لمستوطنات جديدة يمكن أن تصل إلى درجة عالية من الثروة أو الرخاء.

. . . كذلك فقد بلغ مسامع الإسكندر أن هناك جزيرتان مواجهتان لمصب نهر الفرات وأن مكان إحداهما قريب نوعاً ما، على مبعدة خمسة عشر ميلاً تقريباً من ذلك الموضع الساحلى الذي تلتقى فيه مياه النهر بمياه البحر. وهذه الجزيرة هى أصغر الاثنتين، وتملؤها الغابات وتحتوى على معبد لآرتميس يقوم على خدمته بشكل منتظم سكان الجزيرة أنفسهم، كما تجد عليها الغزلان والماعز البرية ما تحتاجه من كلأ. ولأن هذه الحيوانات مقدسة للإلهة فمن المحرم اصطيادها لغرض آخر غير القرابين، فلهذا السبب وحده يرفع حظر اصطيادها. ويذكر أريستوبولوس أن الإسكندر أصدر أوامره بتسمية هذه الجزيرة إيكاروس، على غرار الجزيرة الإيجية التى تحمل نفس الاسم، والتى وقع عليها إيكاروس الأسطورى.

. . . أما الجزيرة الأخرى فتعرف باسم تيلوس، وتقع بعيداً عن مصب نهر الفرات على مسافة يمكن أن تقطعها سفينة مبحرة فى يوم وليلة. وهى جزيرة كبيرة نوعاً ما، وغالبية أرجائها لا هى بالبرية ولا هى بالتى تملؤها الغابات، بل مناسبة لإنتاج كافة أنواع المحاصيل المزروعة فى فصولها

الملائمة.

تمثل هذه الفقرة المقتبسة من أريانوس أطول الأماكن التى يتحدث فيها عن شبه الجزيرة العربية، وأكثرها أهمية فى الوقت ذاته. وفيما يتعلق بموضوعنا فإنه يمكن ملاحظة أنها تشتمل على عدة نقاط مهمة، أولاها هى دوافع الإسكندر وراء الحملة التى يقوم بالإعداد لها لاحتلال بلاد العرب، وثانيتها هى ترتيبات هذه الحملة، وآخرها هى معلومات اليونانيين عن شبه الجزيرة وعن حدودها الشرقية على وجه التحديد، والكيفية التى حصلوا بها عليها، فى غضون الأعوام القليلة التى استغرقتها حملات الإسكندر على الشرق.

ويتبين من إشارة أريانوس إلى دوافع الحملة أنها تجمع فى آن واحد بين دوافع سياسية ودينية واقتصادية.[٤٤] وبينما يختلف الدارسون فى تقديرهم لأهمية كل منها،[٤٥] وعلى الرغم من أن غالبيتهم تتجه إلى التركيز على ثروات شبه الجزيرة وموقعها على طرق التجارة بين الشرق والغرب بوصفها الدوافع الحقيقية وراء الحملة،[٤٦] فإنها مجتمعة يمكن أن تعبر عن أهمية بلاد العرب بالنسبة للإسكندر من الناحيتين الشخصية والعامة. لقد كان الإسكندر يسيطر عندئذ، كما يتبين من قوائم الوفود التى أعدها، على أجزاء كبيرة من العالم القديم مثلما سبقته شهرته وانتصاراته إلى بقية الأجزاء، وكما يتضح من المصادر التى تشير إلى مشروعاته المستقبلية، فإنه كان يفكر فى العديد من الفتوحات الجديدة.[٤٧] وكانت بلاد العرب التى يقف عندئذ على حدودها أول هذه المشروعات وأكثرها أهمية وإلحاحاً، خاصة وأن أهلها لم يرسلوا إليه سفراءهم لتكريمه، وأنه يستطيع من خلال السيطرة عليها أن يشبع نعطشه الدائم إلى السلطة أو أن يثبت حقاً أنه "سيد على كافة الأراضى والبحار" أو "سيد على الجميع".[٤٨] من ناحية أخرى فإن الألوهية

كانت أعلى مظهر يمكن أن تتجلى به مكانته وأعماله التى فاق بها كافة البشر الآخرين، وهى أمر كان يسعى إليه طوال حياته،[٤٩] بتقليده فى البداية لبعض الأبطال اليونانيين، ثم بمحاولته تتبع خطا بعض الآلهة اليونانية.[٥٠] وبطبيعة الحال فإن للدوافع الاقتصادية أهميتها التى لا يمكن إنكارها بوصفها المقوم المادى الذى يدعم هذه المكانة السياسية-الدينية الشخصية التى يطمح إليها الإسكندر. لقد كانت الحملة على بلاد العرب، كما يتبين من هذه الدوافع مجتمعة، تمثل فى الحقيقة تتويجاً لكافة أعمال هذا القائد فى كافة هذه المجالات، المتباينة والمتكاملة فى آن واحد، طوال مراحل فتوحاته وحتى تاريخ عودته إلى بابل عام ٣٢٣ ق.م.

من ناحية أخرى فإن هذه الفقرة تعرفنا ببعض ترتيبات الحملة التى ينوى الإسكندر القيام بها على بلاد العرب وأنها اشتملت على ثلاث رحلات استكشافية أرسلها للتعرف على سواحل الجزيرة. أولى هذه الرحلات قام بها قائد يدعى "أرخياس الذى أرسل على رأس سفينة كبيرة للتعرف على الساحل لأجل الحملة المرتقبة على بلاد العرب." وقد وصل أرخياس هذا إلى جزيرة تيلوس ولكنه لم يغامر بالإبحار بعدها. بعد ذلك أوفد الإسكندر أندروستينيس الذى قاد سفينة أخرى للغرض ذاته ووصل إلى مكان أبعد مما وصل إليه البحار الذى سبقه.[٥١] وفى النهاية حققت رحلة القائد الثالث هيرون تقدماً أكبر مما حققته محاولة القائدين السابقين.[٥٢] ويتبين مما يذكره أريانوس فى تعليقه على محاولة هيرون أن صاحبها أفاد مما تم جمعه من معلومات فى المرتين السابقتين، وأن الإسكندر كان يطمح فى حقيقة الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك. لقد كانت مهمة هيرون أن يدور حول شبه الجزيرة العربية بأكملها حتى يصل إلى مدينة هيروؤبوليس المصرية المطلة على البحر الأحمر، إلا أن شجاعته خانته وعاد أدراجه، على الرغم من أنه أبحر حول الجزء الأكبر من الساحل العربى. كما يقول أريانوس. ويبرر هيرون للإسكندر عودته

دون أن يكمل الرحلة، موضحاً أن شبه الجزيرة ذات مساحة ضخمة، وأنها تكاد تقترب فى مساحتها من الهند، وأن جزءاً كبيراً منها يمتد إلى مسافة كبيرة فى المحيط. ويحدد الدارسون الجزء الذى وصل إليه هيرون بأنه رأس موساندوم (رأس الخيمة الحالية)، وهو موقع سبق لنيارخوس المرور به ومشاهدته عن بعد فى أثناء عودته بالأسطول من الهند، قبل أن يغير اتجاهه شمالاً إلى الخليج الفارسى.[٥٣] لقد كاد نيارخوس أن يتوقف عند ذلك المكان، كما نصحه ناضورجى سفينته أونيسيكريتوس، إلا أنه رفض ذلك فى النهاية لأنه كان عليه أن يعطى تقريراً للإسكندر بعد انتهاء الرحلة التى لم يكن هدفها استكشاف المحيط. فمهمته كما أوضحها فى كتابه، الذى أشار إليه أريانوس، تمثلت فى التعرف على الساحل الفارسى وفى جمع معلومات عن سكانه وعن أسلوب معيشتهم وعن مدى خصوبة الأراضى المجاورة له، وعن الأماكن التى يمكن الوقوف عندها بالأسطول والحصول منها على المياه العذبة. ومن الطريف أن أريانوس يعلق على ما فعله نيارخوس قائلاً إن هذا هو ما ساعد أسطول الإسكندر على العودة بسلام؛ فما كان ليفيده شيئاً أن يقود الأسطول إلى الساحل الصحراوى لبلاد العرب (كما تبين من محاولات أرخياس ومن تلاه من البحارة فيما بعد، بطبيعة الحال)، ثم يضيف قائلاً إن هذا هو عين السبب الذى جعل هيرون يعود أدراجه فيما يروى.[٥٤] وهكذا فإن ما يذكره أريانوس عن هذه الرحلات الاستكشافية أمر له دلالاته المهمة التى تتأكد أيضاً من طبيعة المعلومات التى كلف قادته بالحصول عليها.

ومع ذلك فإنها لم تكن الترتيبات الوحيدة للحملة على بلاد العرب، على الأقل كما يتبين من الأعمال التى قام بها الإسكندر فى جنوب العراق والمتعلقة بوسائل الرى والملاحة النهرية. ويحدثنا أريانوس ذاته عن القناطر والسدود المقامة للتحكم فى مياه نهر الفرات وكيف أنه أزال بعضها تيسيراً للملاحة، وأقام سداً جديداً على نهر يسمى بالاكوباس ويبعد حوالى مائة

وسبعين كيلومتراً إلى جنوب المدينة. لقد كانت مياه هذا النهر تصب فى المستنقعات والبحيرات الممتدة فى جنوب بلاد الرافدين إلى بلاد العرب وتمتد من هناك فوق مساحات شاسعة حتى تصب فى النهاية فى البحر. وعندما شاهد الإسكندر السد القديم الذى أقامه حكام بابل على النهر تراءى له أن من الأفضل إقامته فى مكان آخر أكثر صلابة يبعد عنه إلى الجنوب حوالى ستة كيلومترات، وقام بحفر قناة جديدة لتحويل المجرى إلى هذا المكان.[٥٥] ويفسر أريانوس السبب فى قيام الإسكندر بهذه الأعمال برغبته فى تحسين الأوضاع فى بابل، ومن ناحية أخرى بأنه لم يعد هناك داع لوجود بعض هذه السدود التى كانت تهدف إلى تأمين المدينة من أى هجوم نهرى. ومع ذلك فإن استرابون الذى أشار إلى الأعمال ذاتها التى تحدث عنها مؤرخنا يضيف إلى هذه الأسباب بعداً آخر عندما يؤكد أن الإسكندر قام بإنشاء سد نهر باللاكوباس على وجه التحديد "وفى ذهنه ألا تظل بلاد العرب بعيدة المنال سواء عن طريق البحيرات أو حتى بواسطة المستنقعات، خاصة وأن هذه البلاد تأخذ شكل الجزيرة بسبب كثرة المياه."[٥٦]

وبالإضافة إلى الرحلات الاستكشافية والاهتمام بالمجارى المائية فى جنوب بلاد الرافدين، هناك أيضاً الأسطول الذى اهتم الإسكندر ببنائه لحملته الجديدة، والذى كان العمل فيه يجرى على قدم وساق فى تلك الآونة. وفى الحقيقة فإن أريانوس يوضح أن بعض سفن هذا الأسطول أتت مفككة من فينيقيا عن طريق البر إلى مدينة ثاباسكوس على نهر الفرات، حيث تم تركيبها مرة أخرى وأبحرت جنوباً إلى بابل، ويلحظ بعدها أن الإسكندر كان يبنى أيضاً أسطولاً جديداً فى هذه المدينة، وأنه قطع لهذا السبب أشجار السرو التى كانت أشجار الأخشاب الوحيدة المتوفرة فى الإقليم. كذلك جمع الإسكندر البحارة للسفن الجديدة من بين صيادى اللؤلؤ وغيرهم العاملين فى مجال البحر، من فينيقيا والسواحل المجاورة، وبدأ فى إقامة ميناء جديد فى

بابل يكفى لألف سفينة بحرية، وزوده ببعض الأحواض. وأرسل الإسكندر أيضاً أحد قادته إلى فينيقيا وسوريا ومعه مقدار كبير من الأموال ليستأجر أو يبتاع أعداداً أكبر من الرجال المدربين على ركوب السفن والبحر.[٥٧] وتبدو العلاقة واضحة بين هذه الأعمال وبين الحملة على بلاد العرب من أن أريانوس يربط بينهما بشكل مباشر عندما يوضح أنها كانت موجهة ضد العرب.[٥٨] حقيقة إنه يستطرد موضحاً أن الإسكندر كانت لديه فكرة استيطان ساحل الخليج الفارسى والجزر المواجهة له؛ لأنه تخيل أن المنطقة يمكن أن تزدهر مثلما كانت فينيقيا مزدهرة فى البحر المتوسط، ولكن حتى هذه الإشارة يمكن تفسيرها على أنها تشير إلى بلاد العرب، خاصة وأن عدداً كبيراً من الجزر التى يذكرها تقع على رأس الخليج وفى مواجهة سواحلها. وعلى الرغم من ذلك فقد اختلف الدارسون فى تفسير هذه المعلومات وفى تحديد دلالاتها بالنسبة لمشروعات الإسكندر المتعلقة ببلاد العرب، ويرجع السبب فى ذلك إلى أريانوس ذاته الذى ركز على الاستعدادات البحرية دون غيرها من الترتيبات. وقد دفع التركيز على هذه الأعمال بعض الدارسين إلى تعديل العبارة الموجودة فى بعض المخطوطات والتى تشير إلى العرب الذين ينوى الإسكندر مهاجمتهم من "غالبية العرب" إلى "عرب الساحل".[٥٩] وفى الحقيقة فإن المسألة تتضح إذا ما حاولنا التمييز بين أمرين: العرب الذين يقصدهم الإسكندر، والأعمال التى كان ينوى القيام بها ضدهم.

وفيما يتعلق بالعرب الذين يقصدهم الإسكندر، فإن إحدى الإشارتين الواردتين باسترابون إلى موضوع السفراء تساعدنا على توضيح الأمر. ويقول استرابون فيها إن الإسكندر اتخذ من عدم إرسال العرب للسفراء "لا قبل ولا بعد" حجته على الهند سبباً للقيام بحملة عليهم.[٦٠] إن هذه الإشارة تدل على أن الإسكندر توقع من العرب أكثر من مرة أن يقدموا مثل غيرهم فروض الطاعة والولاء، ويحتم علينا أن نبحث عن المناسبات التى توقع

فيها أن يقوموا بمثل هذه الخطوة. وكما يمكن أن نلحظ من أعمال الإسكندر فى العامين الأولين من فتوحاته اللذين انتصر فيهما أولاً على جيش الملك الفارسى فى موقعة نهر جرانيكوس عام ٣٣٤ ق.م، وبعد ذلك على الملك الفارسى ذاته فى موقعة إيسوس فى العام التالى، فإن أعظم فائدة عادت عليه من وراء هذه الانتصارات أنها مهدت له السبيل أمام انتصارات أخرى وفتوحات أكبر. ويوضح ذلك أريانوس عندما يشير إلى المدن الفينيقية والمدن السورية التى قدمت له وفودها فروض الطاعة والولاء فى أعقاب موقعة إيسوس،[٦١] ومن وفد مدينة قورينه الذى أتى ليقابله على حدود مصر الغربية بعد فتحه لها عام ٣٣٢ ق.م.[٦٢] ولهذا فإن موقف باطش حاكم مدينة غزة كان مختلفا، مثلما أن استيلاء الإسكندر على المدينة كان الحدث المهم الذى جعل وجوده محسوساً بالنسبة للجماعات العربية الموجودة فى المنطقة. ونظراً لأن المدينة كانت تشكل المنفذ التجارى المهم بالنسبة للجماعات المقيمة فى جنوب غرب الجزيرة العربية فإن الجماعات السبئية هى التى يعنيها استرابون والتى ربما فكر فيها الإسكندر فى تلك الآونة،[٦٣] بالإضافة بطبيعة الحال إلى الجماعات المقيمة حول غزة.[٦٤] وبالنظر إلى أن الإسكندر كانت لديه عندئذ أهداف أكثر أهمية، فقد اكتفى بأن يعين على الجزء المعروف باسم الولاية العربية فى مصر والمواجه لبلاد العرب واحداً من أكفأ قادته، وجعله فى الوقت ذاته مشرفاً على بقية حكام المناطق الأخرى.[٦٥]

أما المناسبة الأخرى التى كان تخلف العرب عن إرسال السفراء فيها أمراً محسوساً ربما بدرجة أكبر من الأولى فكانت بعد عودته من الهند إلى بابل. وعلى الرغم من أنه يمكن هنا أيضاً أن نفترض أن السبئيين لم يكونوا بعيدين عن ذهن الإسكندر، فمن المؤكد أنهم لم يكونوا عندئذ الجماعات الوحيدة التى يعنيها. لقد كانت هناك أيضاً بعض الجماعات العربية المهمة الأخرى التى تقيم فى المدن التجارية المطلة على الساحل الغربى للخليج

والقريبة منه، وكانت هذه المدن تقع أيضاً على نهاية الطريق التجارى الذى يعترض الجزيرة من شمالها الشرقى إلى جنوبها الغربى، ومن أشهرها مدينة ثاج[٦٦] ومدينة جرها.[٦٧] وكانت تلك الجماعات تعمل أيضاً بالتجارة وكانت سفنها تبحر شمالاً فى الخليج حتى مدينة بابل حيث يستبدلون ما معهم من بضائع ويتاجرون فيما لديهم من منتجات.[٦٨] وبطبيعة الحال فإن معرفة اليونانيين، الذين أقاموا فى بلاد الرافدين فى الأعوام القليلة التى كان الإسكندر فى أثنائها فى المشرق، بهذه الجماعات، والتى نقلوها إليه بعد عودته كانت كافية للفت أنظاره إليها. وهكذا فإن الإسكندر الذى لمس من قبل ثراء الجماعات السبئية الغربية بعد استيلائه على غزة، شعر أيضاً بعد عودته بمدى ثراء الجماعات الشرقية، وبخاصة الجرهائيين، من نشاطهم التجارى فى بلاد الرافدين. ولهذا فإنه يمكن فهم إشارة استرابون على أنها تشير فى الوقت ذاته إلى الجماعات العربية المقيمة فى غرب الجزيرة وتلك المقيمة فى شرقها. وطبقاً لهذا التفسير فإنه لا داعى لتعديل نص أريانوس الذى يقول فيه إن الحملة كانت ضد "غالبية العرب"؛ لأنها فى الحقيقة كانت كذلك.

تتأكد هذه الملاحظة أيضاً من التطور الملحوظ فى معلومات الإسكندر عن تجارة شبه الجزيرة وربما أيضاً عن جغرافيتها، والمتوافق مع تطور معلوماته عن سكانها. وكان الإسكندر قد سبق له وأن تعرف على الحدود الشمالية للمنطقة بعد عودته إلى مصر وفى أثناء تعقبه للملك الفارسى بعد موقعة جوجاميلا عام ٣٣١ ق.م، ولا بد أنه سمع أيضاً بعد عودته بعض المعلومات من سكان بابل ومن الكلدانيين الذين هاجرت بعض جماعاتهم جنوباً إلى بلاد العرب الشرقية من قبل.[٦٩] ويساعدنا استرابون هنا أيضاً على توضيح الأمر بتأكيده، كما سبقت الإشارة، أن أعمال الإسكندر المتعلقة بالمجارى المائية فى جنوب العراق كانت تهدف إلى تيسير الوصول إلى بلاد

العرب التى تحيط بها المياه من كل جانب. لقد أشار أريانوس إلى الأعمال ذاتها ولكنه فسرها بأن الإسكندر كان يريد القيام ببعض المشروعات المفيدة للمنطقة وركز فيها على أنه فاق بأعماله هذه ما قام به الحكام السابقون. ربما أن الأمر كان كذلك، ولكن تفسير استرابون أيضاً لا يقل أهمية، خاصة وأنه يضيف إلى ما سبق ما يؤكد أن نظرة الإسكندر إلى أعماله هذه كانت تتخطى حدود الزمان والمكان. ومن الطريف أن نلحظ أن أريانوس ذاته يعرفنا أن ترتيبات الإسكندر للحملة لم تقتصر على الاهتمام بالأسطول ولا على قواته البحرية التى كان من المقرر أن يذهب الإسكندر على رأسها، ولا على الأعمال المتعلقة بالسدود ومجارى المياه فى جنوب العراق، بل تعدت ذلك كله إلى الاهتمام بقواته البرية.

وكان الإسكندر قد أعاد تنظيم جيشه بعد عودته من الهند، فاستغنى عن حوالى عشرة آلاف من المقدونيين الذين تخطوا سن الخدمة، أو أصبحوا غير لائقين لمواصلة القتال، وهو الأمر الذى أدى إلى تمرد كافة الجنود الذين شعروا أنه لم يعد بحاجة إليهم بسبب استعانته بالفرس.[٧٠] كذلك فقد انضم إليه حوالى عشرون ألف جندى فارسى جدد تم انتقاؤهم من خيرة رجال الفرس ومن أشدهم ضراوة فى القتال، مثلما وفدت إليه أعداد جديدة من الجنود اليونانيين من منطقة كاريا وليديا بآسيا الصغرى، وأعداد أخرى من الخيالة من مقدونيا. وقد قام الإسكندر ببعض التعديلات فى تشكيل وحداته المقاتلة بحيث أصبحت الفصيلة المقاتلة تشتمل على أربعة رجال مقدونيين وعلى اثنى عشر رجلاً فارسياً، يحمل كل منهم سلاحه المعتاد.[٧١] ومن الملاحظ هنا أن الإسكندر اهتم بدمج هذه العناصر المختلفة فى جيوشه البرية مثلما اهتم بدمجها فى الأسطول الذى كانت تدريباته تجرى أيضاً على قدم وساق. ويشير أريانوس إلى المباريات والمنافسات القوية بين بحارة السفن الحربية ذات الثلاثة صفوف من المجاديف، بالإضافة إلى بعض السفن ذات الأربعة

صفوف من المجاديف، والتى اشتملت كذلك على سباقات فى التجديف وعلى اختبارات لمهارة قادة السفن، وعلى جوائز للرابحين.[٧٢] ويدل اهتمام الإسكندر بتجهيز قواته البرية والبحرية بهذه الكيفية على أنه كان ينوى أن يطبق هنا الخطة التى اتبعها فى أثناء عودته من الهند والمتمثلة فى أن يبحر الأسطول بمحاذاة الساحل، وأن تسير القوات البرية فى نفس الوقت وربما أيضاً فى خط مواز له على البر. وقد بلغ من استعداد الإسكندر للحملة أنه قدم القرابين المعتادة التى اعتاد تقديمها قبل القيام بمثل هذه الأعمال طالباً من الآلهة التوفيق والنجاح،[٧٣] مثلما أنه حدد أيضاً، على الرغم من إصابته بالحمى، موعد الشروع فى الحملة بالنسبة للأسطول وبالنسبة لقواته البرية التى كان مقرراً أن تسبقه بيوم، ثم أعقب ذلك بأن ناقش تفصيلاتها مع قائد أسطوله ومع القادة الآخرين. وعلى الرغم من اشتداد المرض عليه فقد ظل يتابع عمليات الاستعداد لها، ويقابل ضباطه ويصدر إليهم تعليماته بشأن الحملة التى لم يكن مقدراً لها أن تتم، نظراً لأن المرض اشتد عليه. وتأجلت الحملة، ليقضى بعد ذلك على فكرتها تماماً بسبب وفاته فى صيف عام ٣٢٣ ق.م.[٧٤]

لقد وضعت هذه الوفاة نهاية مفاجئة لاستعدادات الحملة على بلاد العرب،[٧٥] مثلما فتحت الباب أمام اختلاف كبير فى وجهات النظر بين المؤرخين بشأن أهدافه من هذه الترتيبات. وبينما يرى كثير منهم أنه كان ينوى فقط أن يسيطر على المناطق الساحلية حتى يستطيع أن يتحكم فى الطرق التجارية المارة بها، فإن هناك فى المقابل من يعتقد أنه كان يريد السيطرة على كافة بلاد العرب وليس فقط على سواحلها. ويلخص فيلكن رأى المجموعة الأولى عندما يقول إن الإسكندر: "لم يكن ينوى غزو أرض بلاد العرب بل كان ينوى احتلال بعض المناطق على الساحل أو الجزر المجاورة، التى تتيح الفرصة لإقامة موانئ جيدة أو ملائمة لتكون محطات

على الأكثر؛ لكى تدعم فى المستقبل رحلات السفن التجارية."[٧٦] وبينما يرى تارن أنه كان يخطط "لاستيطان الساحل الشرقى فى الخليج،" الذى أبحر نيارخوس بمحاذاته فى أثناء عودته من الهند، فإنه فى الوقت ذاته يضيف أن الإسكندر كان يهدف إلى "إكمال الطريق البحرى من الهند إلى مصر عن طريق استكشاف الجزء الواصل بين بابل ومصر والذى يدور حول جزيرة العرب."[٧٧] ولكنه يستدرك بعدها موضحاً أن الحملات التى أرسلها الإسكندر للتعرف على الساحل الجنوب لبلاد العرب كانت بغرض الغزو وليس مجرد الاستكشاف.[٧٨] وهكذا فإن هذه الآراء تربط بين الاستكشاف والغزو من ناحية، وبينهما وبين السيطرة على الطرق التجارية البحرية المارة بالمنطقة من ناحية أخرى، وهى أمور مرتبطة ببعضها البعض ولا يمكن فصلها أو التمييز بينها فى تلك الآونة.[٧٩] ومع ذلك فإن ضخامة الاستعدادات البحرية المتمثلة فى أعداد السفن وأنواعها، وأعداد البحارة؛ وكذلك الاهتمام بتحديث الجيوش البرية وإعادة تشكيلها؛ بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من الجنود المقاتلين،[٨٠] جميعها أمور تؤكد أن نوايا الإسكندر تجاه المنطقة لم تكن تقتصر على مجرد السيطرة على سواحلها، وتوضح أن لبلاد العرب مميزاتها الخاصة بها، بالإضافة إلى كونها تقع على الطريق التجارى بين الشرق والغرب. كذلك فإنه كان يعلم جيداً بعد عودته إلى بابل أن ثراء الجزيرة يعتمد من ناحية على كونها وسيطاً تجارياً، ومن ناحية أخرى على مواردها الموجودة بها.

ولهذا فإن الإسكندر، كما تدل على ذلك قواته البرية التى اهتم بتجهيزها، كان يدرك أن الطرق التجارية الداخلية تلعب دوراً مهماً فى تجارة الجزيرة، مثل الطريق الغربى الساحلى، ومثل الطريق الذى يخترق قلب الجزيرة من نجران إلى منطقة البحرين. إن السيطرة على المناطق الساحلية لا بد وأن تترك أثرها على تجارة هذه الطرق، بطبيعة الحال، ولكنها لن تكون كاملة إلا

بعد أن يمتد نفوذه أيضاً ليشمل على الأقل المحطات المهمة فى هذه الطرق البرية الداخلية. ولهذا فإن نظرية هوجمان، التى ترى أن الإسكندر كان يهدف إلى السيطرة على شبه الجزيرة العربية براً وبحراً فى آن واحد،[٨١] تقترب من الحقيقة بدرجة أكبر لأنها تأخذ فى اعتبارها طبيعة الاستعدادات المرتبطة بالحملة، وكذلك أهمية المنطقة فى حد ذاتها، وأيضاً موقع بلاد العرب على الطرق التجارية المعروفة آنذاك. وفى كافة الحالات فإن الحملة كانت نتاجاً طبيعياً للكيفية التى سارت بها حملات هذا القائد وللانتصارات التى أحرزها، خاصة وأنه كان قد سيطر فى بداية حملاته على غزة، وقبل عودته إلى بابل على الطريق البحرى الذى يصل بين الهند وبين بلاد الرافدين.[٨٢] كذلك فإنه يمكن النظر إلى الحملة أيضاً فى ضوء مشروعاته التى كان ينوى أيضاً القيام بها فى البحر المتوسط والجزء الغربى من العالم القديم، على الرغم من شكوك أريانوس التى سبقت الإشارة إليها بشأن بعضها. وما يعنينا هنا، بغض النظر عن مدى صحة بعض هذه المشروعات، هو أن السيطرة على بلاد العرب، وبخاصة على الجزء الذى عرفه اليونانيون بعد ذلك باسم بلاد العرب السعيدة، كانت أمراً ضرورياً بالنسبة للإسكندر، إذا ما كان يريد أن تكتمل له السيطرة على المناطق التى فتحها حتى ذلك الوقت، وإذا ما كان يريد أن يبدأ أية مشروعات جديدة.[٨٣]

يتضح ذلك أيضاً مما يشير إليه استرابون فى معرض حديثه عن ثراء بلاد العرب من أن الإسكندر كان ينوى أن يتخذ منها مركزاً لحكم الإمبراطورية بعد عودته من الهند.[٨٤] إن أريانوس لا يشير إلى هذه الفكرة ولعلها أيضاً من بين المشروعات التى لم يقتنع بصحتها. ومع ذلك فإن هناك العديد من الدارسين الذين يؤكدون على ازدياد أهمية منطقة بابل بعد عودة الإسكندر من الهند. وعلى سبيل المثال فإن جرين يذكر أن: "بابل حلت منذ وقت طويل محل بلا [العاصمة المقدونية] بوصفها مركزاً لعالم

الإسكندر."[٨٥] من ناحية أخرى فإن هناك من يرفض فكرة أن يكون الإسكندر أراد أن يجعل من بابل عاصمة دائمة لكل الإمبراطورية: "إن النظرية السائدة المتمثلة فى أنه جعل من بابل العاصمة الدائمة لكل الإمبراطورية خاطئة. إن الأمر ينطبق فقط على إمبراطوريته الآسيوية."[٨٦] وبطبيعة الحال فإن وفاة الإسكندر قبل أن يكمل مشروعه ضد بلاد العرب تحول دون التحقق من تفصيلات الفكرة. ولكن الأمر المؤكد، مع ذلك، هو أن أهمية بابل كانت فى ازدياد مستمر فى تلك الآونة وبالقدر الذى يجعل منها، كما أشار فيلكن، من الناحية العملية، إن لم يكن من الناحية الرسمية عاصمة شرقية للإمبراطورية، والذى يحتم، طبقاً لما توصلت إليه معلومات اليونانيين فى تلك الآونة، أن تكون بلاد العرب، المطلة على حدودها، تحت سيطرة الإسكندر ونفوذه.

لقد كان الإسكندر يحرص على ألا يغامر بالمسير بقواته قبل أن يدرس جيداً المناطق التى ستسير فيها هذه القوات.[٨٧] وفى الحقيقة فإن لدينا مثالاً على ذلك فى حالة الحملة على بلاد العرب من الرحلات الاستكشافية البحرية، والتى حرص الإسكندر على أن يبدأها من سواحلها الشرقية والغربية فى آن واحد. ربما أن المصادر التى تشير إلى الموضوع قد صمتت عن بعض الرحلات المشابهة على البر، أو ربما أن الإسكندر كان سيقوم بها فى أثناء مسيره مكتفياً بما وصله من معلومات عن الطرق التى سيسلكها. ولهذا فإن المعلومات الناجمة عن هذه الرحلات الاستكشافية أو تلك التى سجلت فى أثناء حملات الإسكندر كانت نتيجة لاحتكاك مباشر ولمشاهدات عيان، وتمثل تطوراً واضحاً فى معلومات اليونانيين عن بلاد العرب. وقد سجل أريانوس ذاته فى حديثه عن هذه الحملات بعضاً من المعلومات التى استمدها من أريستوبولوس، والتى يمكن الاطمئنان إليها،[٨٨] والذى تزداد قيمتها بسبب أن كثيراً من التقارير التى اعتمد عليها فى كتابه قد وقعت

وعلى سبيل المثال فإن أريانوس يوضح أن العرب يتعبدون لإلهين اثنين لا ثالث لهما هما يورانوس وديونيسوس، وهى إشارة تذكرنا بما يقوله هيرودوتوس عن ديانتهم، إلا أنه يشير إلى يورانوس بصيغة المذكر.[٨٩] ومع هذا فإنه يشير بعد ذلك إلى إلهة ثالثة شبهها بآرتميس اليونانية، وذلك فى معرض الحديث عن معبدها الموجود على الجزيرة التى أطلق عليها الإسكندر اسم إيكاروس، وهو الأمر الذى يجعل أريانوس يبدو مناقضاً لنفسه نوعاً ما. وتمثل إشارة أريانوس إلى هذه الإلهة وإلى تقديس السكان للماعز التى توجد على الجزيرة إجلالاً لها، إضافة إلى ما نعرفه من هيرودوتوس عن ديانة العرب من قبل، مثلما أنها توضح، على أساس الأسلوب المقتضب الذى وردت به، أن هذه المعلومات تمثل قدراً ضئيلاً مما توفر للإسكندر ولليونانيين فى تلك الآونة عن المنطقة وعن سكانها.

لقد توفى الإسكندر فجأة فى بابل عام ٣٢٣ ق.م.، ومات معه بدون شك عدد كبير من الأفكار والمشروعات التى لم يكن يشاركه الرأى فيها جنوده وقادته، والتى لم يكن باستطاعتهم أيضاً تنفيذها. وبعد وفاته تأسست الدولة السليوقية على الحدود الشمالية لبلاد العرب، وتأسست فى مصر الدولة البطلمية. وترتبط علاقات بلاد العرب وما كان بها من دويلات وممالك بهاتين الدولتين طوال الثلاثة قرون التى أعقبت وفاة الإسكندر، الذى كانت حملاته هى الحدث التاريخى الذي أتاح وجود هذه العلاقات فى المقام الأول، كما يتبين من حديث أريانوس، ارتباطاً قوياً إلى حد أنه يمكن النظر إلى أحداث هذه المرحلة من خلال إطار يجمع بين هذه الأطراف الثلاثة ويوضح التأثير الذي كان لكل طرف منها على الآخر، وقوة تأثره به.[٩٠]

١- يطلق اسم "أرابيا" *Arabia*، أىَ: بلاد العرب، فى كتابات المؤرخين والجغـرافيين اليونانيين والرومان على المنطقة التى سكنها العرب فى العصور القديمة والتى كانت تشتمل بالإضافة إلى شبه الجزيرة العربية على بادية الشام والعراق. انظر G. W. Bowersock, *Roman Arabia*, London, 1983, 1 (الذى يلحـظ أن التسـمية تفتقر إلى الوضوح فى مؤلفات هؤلاء الكتاب)؛ وأيضاً R. G. Hoyland, *Arabia and the Arabs: From the Bronze Age to the Coming of Islam*, London, 2001, 3؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى قلة معلوماتهم عن المنطقـة حتـى عصر الإسكندر الأكبر. وفى هذه الدراسة سأستخدم الاصطلاح بالدلالة ذاتهـا التـى تتخطى، كما هو واضح، الحدود السياسية القائمة حالياً بين بلدان المنطقة.

٢- الدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، "الجزيرة العربية فى المصادر لكلاسيكية،" فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، إشراف الدكتور عبد الرحمن الأنصارى، الرياض، ١٩٧٧، ص ٥٥

٣- هناك ترجمة إنجليزية لهذا الكتاب فى Arrian, *The Campaigns of Alexander*, trans. by A. de Sélincourt, revised with a new introduction and notes by J. R. Hamilton, Middlesex, England, 1971؛ (علماً بأنه سيشار إلى هذا المرجع بعد ذلك بوصفه: De Sélincourt and Hamilton، وسيشار إلى نص أريانوس بالإحالة إلى مواضع الفقرات مباشرة).

٤- ترد الإشارات إلى هؤلاء المؤرخين عادة فى سياق الحديث عن مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، ولا تتعدى فى مناقشتها مجرد الأحكام العامة أو ذكر الأسماء فى بعض الأحيان. وينطبق ذلك بشكل عام على الكتابات التى قام بها دارسو التاريخ الإسلامى أو حتى التاريخ القديم؛ انظر على سبيل المثال، الدكتور السيد عبد العزيز سالم، دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الإسكندرية، ١٩٨٠، صفحات ٤٠-٤١؛ والدكتور محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، ١٩٩٣، صفحات ٣٣-٣٤. انظر أيضاً الدكتور عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، القاهرة، ١٩٩٤، صفحات ١-١١؛ وقارن المعالجة الأكثر تفصيلاً التى أوردها جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، بيروت-بغداد، ١٩٧٦، صفحات ٥-١٨؛ وانظر كذلك الدكتور توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٢، ص ١٨، وأخيراً الدكتور عيد سعيد مرعى، تاريخ الجزيرة العربية، بيشة، ٢٠٠٤، صفحات ١٨-٢٠

٥- لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق؛ انظر أيضاً مناقشة الباحث ذاته للموضوع

في كتابه: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٩، صفحات ١٩٥-٢٢٨.

٦- انظـــر P. Högemann, *Alexander der Grosse und Arabien*, in *Zetemata: Monographie zur Klassischen Altertumswissenschaft*, Heft 82, München, 1985, 126-135؛ والدكتورة ســلوى محمــود نصــر، "الإسكندر الأكبر وبلاد العرب: ضوء جانبي من خلال فكره السياسي والديني،" مجلــة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ٤٢، ١٩٩٤/١٩٩٥، صفحات ٣٦١-٤٠٠

٧- الدكتورة سهير زكي بسيوني، ثيوفراستوس ونباتات شبه الجزيرة، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ٤٢، ١٩٩٤/١٩٩٥، صفحات ٣٤٣-٣٦٠

٨- وذلك من خلال مناقشة حملة الوالي الروماني على مصر أيليوس جاللوس على بلاد العرب، انظر الدكتور محمد عبودي إبراهيم، استرابون يتحدث عن حملة اليوس جاللوس على بلاد العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ٣٩، ١٩٩٢، صفحات ٥٠٣-٥٣٢؛ وكذلك الدكتور مظهر علي الأرياني، حول الغزو الروماني لليمن، دراسات يمنية، صنعاء، المجلد ١٥، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، صفحات ٥١-٦٤

٩- الدكتور محمود إبراهيم السعدني، العرب عند ديودوروس: دراسة تحليلية، حصاد ٦: أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٨، صفحات ٤١-٨٦

١٠- الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم، مجلة العصور، المجلد الثاني، الجزء الأول، ١٩٨٧، صفحات ٧-٢٢؛ علماً بأنه قد صدرت مؤخراً ترجمة لكتاب هيرودوتوس (عن الإنجليزية)؛ انظر "تاريخ هيرودوت،" ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١

١١- Herodotus, 7. 87؛ Högmann, *op. cit.*, 53 وأيضاً الذي يلحظ أن الجنود العرب قد تم جمعهم من المناطق الشمالية لشبه الجزيرة والواقعة تحت سيطرة الفرس. انظر كذلك دور ملوك الأنباط في مساعدة الفرس دخول مصر (Herodotus, 3. 4-7) التي كانت عندئذ على علاقات وثيقة باليونانيين، وراجع التعليق على هذا الدور في A. R. Burn, *Persia and the Greeks: The Defense of the West 546-478 B.C.*, New York, 1962, 84؛ الذي يصف "ملك" هيرودوتوس بأنه "reigning sheik"

١٢- Arrianus, 1. 12 وانظر كذلك De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 16-17 عن أعمال أريانوس الأخرى، وعن أهمية كتاب حملات الإسكندر بالمقارنة بها

١٣- راجع: M. Renault, *The Nature of Alexander*, New York, 1975, 13: "Alexander was rescued for history by a fellow soldier. . ."

١٤- Arrianus, 1-2؛ وفيما يتعلق ببطلميوس وأريستوبولس انظر الترجمة المختصرة لكل منها في *The Oxford Classical Dictionary*, 2nd edition; and *Der Kleine Pauly: Lexicon der Antike*, s. v. *Aristobulus* and *Ptolemaios*

١٥- De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 21-31؛ اللذان يلحظان أن أريانوس اعتمد على بطلميوس فى وصف المعارك الحربية وأحداث القتال بينما كان اهتمام أريستوبولوس بالجغرافيا والتاريخ الطبيعى. انظر كذلك A. Weigall, *Alexander the Great*, New York, 1933, vii-viii

١٦- الذى تشتمل إشاراته على بعض المعلومات عن العادات والتقاليد وحدود شبه الجزيرة ومواردها النباتية والحيوانية؛ انظر مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صفحات ١٣-١٦

١٧- Arrianus, 2. 20؛ علما بأن اسم الجبل يعنى "المواجه للبنان".

١٨- كما يلحظ Quintus Curtius, 4. 2. 24; 4. 3. 1

١٩- De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 135-136 n. 47: "Arabia is used loosely." على الرغم من أنهما يلحظان أن الجبل يقع على أقصى الحدود الشرقية للبنان.

٢٠- الدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، "الوضع السياسى فى شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادى،" فى: دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، صفحات ٩٦-٩٧

٢١- W. W. Tarn, *Alexander the Great*, vol. I, Cambridge, 1948, 41؛ الذى يلحظ أن المدينة قاومت ببسالة ويأس: "resisted desperately"

٢٢- Arrianus, 2. 26؛ انظر كذلك خطبته إلى قادته على أبواب مدينة صور التى يشير فيها إلى أهمية السيطرة على ساحل البحر قبل مهاجمة مصر وتعقب الملك الفارسى (٢: ١٧-١٨).

٢٣- Arrianus, 3. 1 ؛ وأيضا Weigall, *op. cit.*, 188

٢٤- Arrianus, 2. 26؛ انظر كذلك P. Green, *Alexander of Macedon 356-323 B.C.: A Historical Biography*, Oxford, 1991, 266-267

٢٥- انظر جواد على، المرجع السابق، ص ٩؛ الذى يشير إلى بعض الكتابات النبطية التى تحتوى على اسم بطشو. راجع كذلك Höghmann, *op. cit.*, 47 with note 3: "Batis, von dem unbekannt ist, ob er ein Perser ode ein Araber

"war"؛ الذى يتشكك دون مبرر فى كون باطش عربى الأصل.

٢٦- Arrianus, 2. 26

٢٧- Arrianus, *loc. cit.*؛ الذى يروى أيضاً أنه فى أثناء تقديم الإسكندر للقرابين كعادته قبل بدء القتال، ألقى أحد الطيور حجراً على رأسه، وهو الأمر الذى فسره الكاهن بأنه سوف يفتح المدينة وإن كان عليه أن يحرص على سلامته الشخصية. انظر أيضاً Green, *op. cit.*, 267

٢٨- Arrianus, 2. 27

٢٩- Arrianus, 2. 17-19 ؛ وانظر أيضاً Weigall, *op. cit.*, 176-178

٣٠- U. Wilcken, *Alexander the Great,* trans. by G. C. Richards, New York, 1967, 288 وكذلك W. W. Müller, "Arabian Frankincense in Antiquity: According to Classical Sources," (p. 82) فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٧

٣١- يشير (Herodotus, 3. 5) إلى المدينة باسم كادوتيس، موضحاً أنها تقع فى المنطقة التى يحكمها العرب. انظر كذلك D. B. Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times,* Cairo, 1992, 459 with note 139 الذي يلحظ أن كادوتيس هو الاسم المصرى القديم للمدينة. قارن أيضاً A. De Sélincourt, *The World of Herodotus.* Boston, 1962, 72 الذى يلحظ أن اسمها القديم كان مينوا، وأن تأسيسها يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد.

٣٢- كما يشير Plutarchus, *Life of Alexander,* 25؛ وانظر كذلك Weigall, *op. cit.*, 191؛ وأيضاً Green, *op. cit.*, 42

٣٣- Weigall, *ibid.*, 190-191؛ وراجع أيضاً Renault, *op. cit.*, 117

٣٤- Strabo, 16. 2. 30:

"κατεσπασμενη δ' υπο Αλεξανδρου και μενουσα ερημοσ"

٣٥- Arrianus, 3. 1

٣٦- Arrianus, 5. 25

٣٧- انظر التعليق على الخطبة الوارد فى L. Edmunds, "The Religiosity of Alexander, *GRBS,* 12 (1971), 386: "The speech may be entirely Arrian's invention; yet it is an accurate interpretation of Alexander's character."

٣٨ - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صفحات ٩-١٢، مع الحاشية ٢٦

٣٩- Arrianus, 6. 21-22؛ انظر كذلك Tarn, *op. cit.*, 106 الذى يلحظ أن النهر يعرف حالياً باسم الهاب، وأن القبيلة (دون توثيق) إيرانية الأصل وإن كانت لها بعض العادات الهندية.

٤٠- Högmann, *op. cit.*, 152

٤١- Arrianus, 7. 1؛ انظر أيضاً Wilcken, *op. cit.*, 224

٤٢- Arrianus, 7. 15; Diodorus Siculus, 17. 113

٤٣- Arrianus, 7. 20

٤٤- قارن أيضاً Strabo, 16.1.11; 16. 4. 27؛ الذى يذكر الدوافع ذاتها، نظراً لكونه قد رجع إلى نفس المصدر الذى اعتمد عليه أريانوس.

٤٥- انظر Högmann, *op. cit.*, 126-135؛ وكذلك سلوى محمود نصر، المرجع السابق، صفحات ٣٦١-٤٠٠

٤٦- راجع جواد على، المرجع السابق، صفحات ٥-٦؛ والدكتور سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم فى العصر الهللينستى، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٨؛ وكذلك Green, *op. cit.*, 470؛ وأيضاً Wilcken, *op. cit.*, 223-224

٤٧- Arrianus, 7. 1؛ الذى يلحظ اختلاف المؤرخين القدامى أنفسهم بشأن هذه الفتوحات. انظر كذلك De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 348 with note 1

٤٨- يرد تعبير "سيد على كافة الأراضى والبحار" فى تعليق أريانوس على الوفود التى أتت لتكريم الإسكندر (Arrianus, 7. 15)؛ أما تعبير "سيد على الجميع" فيرد فى Strabo, 16. 9 . 11

٤٩- Green, *op. cit.*, 452: "All his life in a sense he had been moving towards his final apotheosis. . . ."

٥٠- Edmunds, *op. cit.*, 372-374; 376-378

٥١- انظر تعليق Wilcken, *op. cit.*, 230 أن هذه الرحلات تمت والإسكندر فى إكباتانا؛ فى شتاء عام ٣٢٥/ ٣٢٤ ق.م.

٥٢- Arrianus, 7. 20-21؛ وراجع كذلك أ. ت. ويلسون، الخليج العربى: مجمل تاريخى من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة وتقديم الدكتور عبد القادر يوسف، الكويت، ب. ت.، ص ٩٩؛ وأيضاً جواد على، المرجع السابق، ص ٨

٥٣- Arrianus, 7. 21؛ انظر كذلك لطفى عبد الوهاب يحى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٧؛ وأيضا ويلسون، المرجع ذاته، صفحات ٣٩، ٤١

٥٤- Arrianus, *loc. cit.*

٥٥- Arrianus, 7. 22

٥٦- Strabo, 16. 1. 11

٥٧- Arrianus, 7. 19؛ قارن أيضاً Strabo, 16. 1. 11

٥٨- وهو الأمر الذى يتضح أيضاً من استرابون (*loc. cit.*) الذى يذكر دوافع الحملة بعد إشارته إلى أعمال الإسكندر فى جنوب العراق، والذى يقول: "لأن الإسكندر بطبيعة الحال كان ينوى أن يحتل هذه البلاد وكان قد أعد أسطولاً وقواعد للعمليات بأن بنى بعض سفنه فى فينيقيا وقبرص . . . وبنى بعضها الآخر فى بابل من أشجار السرو."

٥٩- De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 382 with note. 80

٦٠- Strabo, 16. 4. 27

٦١- Arrianus, 2. 16

62 De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 152 n. 10 where they refer to Diodorus Siculus, 17. 49. 2

٦٣- الدكتور سيد أحمد على الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى: الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، ص ٤٠٥

٦٤- Högmann, *op. cit.*, 129

٦٥- هو كليومينيس النقراطيس، كما يوضح Arrianus, 2. 6؛ وانظر كذلك الدكتور مصطفى العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢١

٦٦- D. Potts, "Thâg in the Light of Recent Reseach," *Atlal,* 7 (1983), 92-94

٦٧- N. St. J. Groom, "Gerrha: A 'Lost" Arabian City," *Atlal*, 6 (1982), 98

٦٨- Strabo, 16. 4. 4؛ وأيضاً Aristobulus, *Indica.* 41

٦٩- Groom, *op. cit.*, 97-98 ؛ انظر أيضاً جورج فضلو حورانى، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥١، صفحات ٤٣-٤٤

٧٠- Arrianus, 7. 8؛ انظر كذلك Green, *op. cit.*, 453-454؛ وأيضاً Wilcken, *op. cit.*, 221-222

٧١- Arrianus, 7. 23

٧٢- Arrianus, *loc. cit.*

٧٣- Arrianus, 7. 25؛ انظر أيضاً Weigall, *op. cit.*, 337-338

٧٤- Green, *op. cit.*, 474; Weigall, *ibid.*, 339

٧٥- Hoyland, *op. cit.*, 22: "[Arabia] narrowly escaped being invaded by Alexander."

٧٦- Wilcken, *op. cit.*, 229؛ وكذلك لطفى عبد الوهاب، العرب فى العصور القديمة، ص ٢٢٢: أدخلت [حملات الإسكندر] حدود شبه الجزيرة العربية ودفعت بالإسكندر

إلى التفكير فى غزو المنطقة والاستعداد الفعلى لتنفيذ ذلك حتى تكتمل له حلقة الاتصال البحرى الذى يرى فيه تدعيماً لدائرة سيطرة عالمية شملت مناطق من الشرق والغرب."

٧٧- Tarn, *op. cit.*, 118

٧٨- Tarn, *op. cit.*, 121: "The expeditions . . . would have been schemes of conquest, not of exploration."

٧٩- كما يتبين من الفصل السابع من كتاب Tarn, *Hellenistic Civilization,* 239-267 الذى يحمل عنوان "الاستكشاف والتجارة." انظر كذلك تداخل هذه الأمور فى خطبة الإسكندر فى جنوده فى الهند الموجودة فى Arrianus, 5. 25-26

٨٠- الدكتور أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى فى العصرين الهللينيستى والرومانى، القاهرة، ٢٠٠٢م، صفحات ٣٦-٣٧

81Högmann, *op. cit.*, 195؛ الذى يلحظ أيضاً أن بداية الحملة من بلاد الرافدين كانت تحتم على الإسكندر أن يختار الطريقين البحرى والبرى.

٨٢- يلحظ Wilcken, *op. cit.*, 223 أن دائرة فتوحات الإسكندر الشرقية قد اكتملت بعد عودته من الهند إلى سوسه مرة ثانية؛ وكانت بلاد العرب بالتالى هى الجزء المتبقى من الشرق الأدنى القديم الذى لم يفتحه الإسكندر.

٨٣- يرى Högmann, *op. cit.*, 126 فى محاولة الإسكندر لسيطرة على بلاد العرب أيضاً جزءاً من مخطط الإسكندر لحكم العالم القديم.

٨٤- Strabo, 16. 4. 27:

"ωσ φασι Βασιλειον αυτην ποιησασθαι [*i.e.* Alexander] μετα την εξ Ινδων επανοδον."

٨٥- Green, *op. cit.*, 447؛ انظر كذلك Renault, *op. cit.*, 248؛ وأيضاً Tarn, *op. cit.*, 117: "Babylon. . .which was destined for his capital." وكذلك سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم فى العصر الهللينستى، ص ٨٩

٨٦- Wilcken, *op. cit.*, 230؛ وراجع كذلك Högmann, *op. cit.*, 148: "Es gibt keine anzeichen dafür, dass Alexander auch eine Stadt- und Residenzgründung Babylon entthronen wollte."

٨٧- Wilcken, *ibid.*, 225

٨٨- جواد على، المرجع السابق، ص ١٢؛ وكذلك Hoyland, *op. cit.*, 104

٨٩- Arrianus, 7. 19 : علما بأن الإلهين اللذين يشير إليهما هيرودوتوس (٣: ٩) هما ديونيسوس ويورانيا اللذان يقابلان عند العرب أوروتولت (ذو الشرا) وأيلات (اللات).

٩٠- انظر لطفى عبد الوهاب يحيى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٨٥، حيث يلحظ أن ما عبر عنه أريانوس من اهتمام الإسكندر بشبه الجزيرة "كان بداية لعلاقة نشطة" بين العالمين العربى واليونانى؛ راجع كذلك سيد أحمد على الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، وخاصة صفحات ٤٠٦-٤٢٢